The Station of the Perfect Human in the Quran and its Impact on Theological Education

Hamid Moridian[1]
Department of Islamic Education, Farhangian University, Tehran, Iran

Abstract

The Perfect Human, as a model and exemplar for all humanity, has been depicted and described in the Holy Quran with specific attributes and characteristics. Prioritizing the Divine Will over human desires, along with strengthening and developing the innate and supra-animal aspects of the Perfect Human, paints a complete model for self-purification and human education. This concept can be clarified in the field of education through two focal points: the education of human beings for their worldly and otherworldly happiness. Accordingly, employing a descriptive-analytical method, this article addresses the explanation of the station of the Perfect Human in the Holy Quran and studies its impact on theological education. The general conclusion is that the Perfect Human in the Quran is one in whom all divine and innate potentials are actualized, who is in a state of constant growth, becoming, and perpetual perfection, and who always moves upwardly towards God (ilá Alláh). Through their influence on beliefs, emotions, ethics, and practical conduct, they become an exemplar for others, guiding them to happiness in this world and the hereafter.

Keywords: Perfect Human, Theological Education, Towhid (Monotheism), Worldly Happiness, Otherworldly Happiness.

[1] h.moridian@cfu.ac.ir

مكانة الإنسان الكامل في القرآن وتأثيرها على تعليم علم اللاهوت

حميد مريديان[1]

قسم التربية الإسلامية، جامعة فرهنغيان، طهران، إيران

المستخلص:

الإنسان الكامل، بما أنه يجب أن يُطرح كنموذج وقدوة لسائر البشر، قد صُوّر ووُصف في القرآن الكريم بصفات وخصائص خاصة. إن تقديم الإرادة الإلهية على الرغبات الإنسانية، وتقوية وتنمية الجوانب الفطرية والفوق-حيوانية للإنسان الكامل، ترسم نموذجاً كاملاً لتزكية النفس وتربية الإنسان. ويمكن توضيح هذا الأمر في مجال التعليم من خلال محورين: تربية الإنسان لسعادته الدنيوية والأخروية. بناءً عليه، يتناول هذا المقال ــ بالمنهج الوصفي التحليلي ــ بيان مكانة الإنسان الكامل في القرآن الكريم، ودراسة تأثير ذلك على تعليم علم اللاهوت. والنتيجة العامة هي أن الإنسان الكامل في القرآن هو الإنسان الذي تتفعّل فيه جميع الاستعدادات الإلهية والفطرية، ويكون في حالة نمو مستمر وصيرورة وكمال دائم، ويتحرك دوماً صعوداً نحو الله (إلى الله)، ومن خلال تأثيره على المعتقدات والعواطف والأخلاق والسلوك العملي، يصبح قدوة للآخرين، ويهديهم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

الكلمات الرئيسية: الإنسان الكامل، تعليم علم اللاهوت، التوحيد، السعادة الدنيوية، السعادة الأخروية.

[1] . h.moridian@cfu.ac.ir

المقدمة

من المواضيع الهامة التي لطالما كانت موضع بحث للباحثين منذ القدم، دراسة الأبعاد المختلفة للوجود الإنساني. وأحد أبعاد الإنسان، هو بُعد الكمال والسعادة الذي يسعى إليه جميع البشر؛ فبعبارة أخرى، الوصول إلى النقطة المثالية هو الحلم الذي رافق الإنسان على مرّ التاريخ، وسعى لتحقيقه. ويُظهر التاريخ أن الإنسان كان دوماً يحمل حلم الكمال في فكره، ويعمل للوصول إلى أعلى درجات النمو والكمال الإنساني. وعلى مر العصور، كان الإنسان الكامل محوراً للوجود، يحظى بالاهتمام والاحترام، ويُذكر بخير، ويتأثر به الآخرون. ففي كل ثقافة، ونظام فكري، وفلسفة، ودين، ومذهب، نجد أثراً للإنسان الكامل.

وقد أُوليَ موضوع الإنسان اهتماماً خاصاً في القرآن الكريم، وهو من المصادر الأساسية في الدين الإسلامي، بل إن نزول القرآن كان من أجل هداية الإنسان وإيصاله إلى مقام الخلافة الإلهية. ويكمن القاسم المشترك في جميع الآراء المتضادة حول الإنسان المثالي، في التمييز بين الإنسان العادي والإنسان الكامل، حتى أن السعي نحو الكمال أصبح مطلباً لكل إنسان. ولهذا يعتقد البعض أن الإنسان الكامل نادر الوجود، وينتظرون ظهوره، فيما يرى آخرون أنه قد وُجد في الماضي.

الإنسان المثالي يجب أن يُطرح كنموذج يُحتذى به، ولذلك، اهتمت به جميع الأديان والمذاهب التي تزعم أنها تُعنى بتربية الإنسان، وكان لا بد أن تُعرّفه بصفات خاصة. من هنا، رسم القرآن الكريم، وفق رؤيته الإلهية، صورةً للإنسان المثالي، الذي يُعدّ الاقتداء به مدخلاً لتعليم علم اللاهوت، إذ إن الأنبياء، كمعلمين رحيمين، يأخذون البشر من نقطة إلى أخرى، وينمونهم في مسار التعليم، ويهتدون بهم إلى نقطة الكمال.

المنهجية:

تناول البحث في موضوع الإنسان الكامل من منظور القرآن، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأديان السماوية وغير السماوية، وقد تناولت العديد من الكتب هذه القضية، نذكر منها:

الإنسان الكامل (النسفي، ١٣٦٢هـ ش)

الإنسان الكامل (ابن عربي، ١٣٦٢هـ ش)

الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل (الجيلاني، ١٩٧٦م)

الإنسان الكامل في الإسلام (الجيلاني، ١٩٧٠م)

سيماء الإنسان الكامل في المذاهب (نصري، ١٣٧٦هـ ش)

صورة ومسيرة الإنسان في القرآن، تفسير الإنسان للإنسان، الحياة الحقيقية للإنسان في القرآن (جوادي الآملي، ١٣٨٤ هـ ش)

سيماء الإنسان الكامل في القرآن (السبحاني، ١٣٦٥هـ ش)

الإنسان المثالي في القرآن (الترابي، ١٣٨٨هـ ش)

الإنسان الكامل في الإسلام والمسيحية (يارندي، ١٣٨٢هـ ش)

وقد كُتب الكثير عن الإنسان الكامل من منظورات فكرية ودينية متعددة. ويعتمد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال وصف وجهة نظر القرآن حول الإنسان الكامل، وتحليل تأثيره على تعليم علم اللاهوت، مستنداً إلى المبادئ الإسلامية.

أهمية المسألة وضرورتها

من الأسئلة المحورية التي تُطرح حول الإنسان الكامل وتأثيره على تعليم اللاهوت: من هو الإنسان الذي ينبغي أن نصبح عليه؟ ما الهدف الذي يجب أن يتخذه الإنسان في حياته ليصل إلى كماله؟ وما الطريق الذي يجب أن يسلكه ليبلغ هذا المقام؟ وكيف يمكن أن يكون هذا الإنسان الكامل مؤثراً وفعّالاً في الواقع؟

إن معرفة الإنسان الكامل في القرآن يزوّدنا بمعيار قرآني، يمكن من خلاله تشخيص نواقص الإنسان وتقديم نموذج تربوي مناسب، بحيث يكون الإنسان الكامل قدوة تعليمية للآخرين.

الإنسان المثالي في المدرسة القرآنية:

بدراسة المدارس المادية، نجد أن الإنسان المثالي فيها يُصوّر وفق مركزية الإنسان عوضاً عن مركزية الله، وتُقدّم النزعة الإنسانية (الإنسانوية) كأساس لكل شيء. وبهذا تُهمّش فكرة الله، ويُقدّس الإنسان حتى يُمنح خصائص الألوهية. أما في الإسلام، فالسعادة لا تُدرَك إلا من خلال السلوك في مسار القيم الروحية العليا.

في التعاليم الإلهية، وخاصة الإسلام، لا ينال الإنسان الحياة الحقيقية ومكانته المتميزة إلا عبر التوحيد والارتباط بالله. فالإنسان لا تتفتّح استعداده ومواهبه إلا بهداية الله، والهدف النهائي في الإسلام هو القرب من الله. الإنسان الكامل في القرآن هو من تتحقق فيه جميع القيم الإنسانية بشكل متوازن ومتكامل، إذ أن كمال الإنسان يكمن في هذا التوازن، فلا يُهمَل جانب على حساب جانب آخر. (المطهرى،١٣٦٢: ٣٠ هـ ش)

القرآن والروايات تؤكد أن محرك الإنسان نحو الخير أو الشر هو نزعة الكمال الفطرية. فإن وُجّهت هذه النزعة نحو الله، أوصلته إلى الرحمة والنعيم، وإن وُجّهت نحو الأنانية، كانت نتيجتها الغضب والجحيم. في حين أن المدارس المادية لا تسعى لتنمية القيم الروحية، بل تركز على الغرائز الحيوانية واللذات الحسية، فإن الإسلام يضع تنمية الاستعدادات العُليا في مركز اهتمامه. ويُعرّف الإنسان الكامل بأنه محور الوجود، والأنبياء ـ وهم أكمل البشر ـ هم مُرسلون لإيقاظ هذه القدرات.قال الله تعالى:(هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (الجمعة: ٢)وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «بعث الله أنبياءه ليثيروا لهم دفائن العقول» (الشريف الرضي، ١٤١٤ق: ص٢٠٢) بناءً عليه، فإن هدف خلق الإنسان هو تنمية جوهره الوجودي عبر الطاعة والعبودية (الذاريات: ٥٦) للوصول إلى مقام "خليفة الله" (البقرة: ٣٠)

الفطرة؛ الطموح الإنساني

الإنسان كائن ذو هدف، يسعى إلى المثل العليا، ويطلب الكمال، حيٌّ وفعّال. وكما يقول الشهيد مطهري: «الإنسان كائن يطلب القيم، يسعى نحو المثل العليا، ويتوق إلى الكمال المنشود؛ يبحث عن طموحات لا تقتصر على الأمور المادية أو المنفعة الذاتية، ولا تقتصر على ذاته أو على أقربائه فقط، بل هي عامة وشاملة للبشرية جمعاء، ولا تحدها بيئة أو زمان معين. والإنسان مولع بالمثل العليا إلى درجة أنه أحياناً يجعلها فوق جميع القيم الأخرى». (المطهري، ١٣٦٢هـ ش: ص ١٢)

إن الميل إلى الكمال، الذي أودعه الله سبحانه في الإنسان، هو جزء من كيانه، ويُشار إليه في القرآن الكريم بمصطلح "الفطرة"، وهي تشير إلى الميول الإلهية والمقدسة التي فُطر عليها الإنسان. ومن منظور القرآن، فإن ازدهار هذا الجانب من الفطرة يؤدي إلى تكامل الإنسان بشكل تدريجي (المجادلة: ١١)، والوصول إلى مقام الخلافة الإلهية وتعليم الملائكة (البقرة: ٣٣). وبعبارة أخرى، إن المثل الأعلى للإنسان هو «العطش والرغبات الفطرية» التي تشكّل أساس الدين الإلهي، والإنسان طالبٌ لهذا الطموح. وعليه، فالفطرة هي «الطموح الإنساني»، والساعي لتحقيقه هو «الإنسان المثالي».

لكن في كثير من الحركات الروحية المعاصرة، وبسبب تنمية الجانب الحيواني من الإنسان، يُنسى هذا الطموح الفطري ويُستبدل بطموحٍ مناقض للفطرة، يتمثل في نمو الرذائل الأخلاقية، ما يؤدي إلى انحراف نزعة الكمال الفطرية، فينحصر هدف الإنسان في السعي وراء المنفعة والمصلحة الدنيوية فقط. وهنا يبدأ الإنسان دون وعي بالسير نحو الانحطاط والزوال، ويُهمل جوهر وجوده (الفطرة)، فيصل إلى مرحلة السقوط والانحدار، وتُصاب روحه بالمرض والران (المطففين: ١٤).

وقد بيّن القرآن الكريم أن أولى درجات سقوط الإنسانية هي أن يبلغ الإنسان منزلة الحيوان أو أدنى منها (الأعراف: ١٧٩)، كما اعتبر المستوى الأدنى لسقوط الروح والفطرة هو المرتبة النباتية، وبهذا شبّه النفس المنحطة بالشجرة الخبيثة والفاسدة (إبراهيم: ٢٦). أما المرحلة الأخيرة فهي الوصول إلى درجة الجماد، حيث يُصبح قلب الإنسان وروحه كالأشياء الجامدة، بلا إدراك أو نمو معنوي. (نيك صفت، ١٣٨٥ش: ص ٢٥)

يرى الإسلام أن الإنسان هو تاج الخليقة، حاكم على الكائنات، خالد، ذو روح غير متناهية، ويتمتّع بخصائص عديدة ومختلفة. ويُعرّف كماله وسعادته في إدراك القيم وتنميتها وبلوغها، وتحقيق جميع الاستعدادات الكامنة فيه، والوصول إلى مقام الخلافة الإلهية؛ وهذا لا يتحقق إلا بالهداية الإلهية.

لذا، فإن الغاية من بعثة الأنبياء وإنزال الكتب السماوية هي تنمية الإنسان وهدايته، وتحقيق التوازن والتكامل في إمكاناته واستعداداته، ورفعه إلى ذروة العزة والكمال الأبدي. إن المبالغة في تنمية قيمة واحدة وإهمال باقي الأبعاد يؤدي إلى الجمود، والانحراف عن الصراط المستقيم، بل السقوط.

الإنسان الكامل لا يمكن مقارنته بأي مخلوق آخر؛ فكل شيء تحت تصرفه، بل وتستفيد جميع الكائنات من وجوده، بفضل وجوده تنعم بالحياة والكمال. ومن ثم، فإن كمال وسعادة الإنسان تختلف عن كمال باقي الكائنات.

يقول الشهيد مطهري في تفسيره للإنسان الكامل في الإسلام: «الإنسان الكامل هو من تنمو فيه جميع القيم الإنسانية معاً، ولا تُهمل أي قيمة، ويكون هذا النمو منسجماً ومتكاملاً حتى يبلغ أقصى درجاته؛ فإذا تحقق ذلك، صار الإنسان إنساناً كاملاً. وهو ما يعبّر عنه القرآن بـ (الإمام)، كما في قوله تعالى: «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» (البقرة: ١٢٤)

دور القدوة في نقل القيم

الإنسان كائن اجتماعي، وتفاعله مع الآخرين يبدأ منذ ولادته، وهو جزء لا يتجزأ من حياته. وتشير نظريات علم النفس التربوي، خصوصاً نظرية التعلم الاجتماعي، إلى أن جزءاً كبيراً من تعلّم الطفل يتم عبر العلاقات الاجتماعية، حيث يبدأ الطفل بالتعلّم الاجتماعي عبر تقليد من يحبهم والاقتداء بسلوكهم.

وإذا اعتبرنا أن إحدى المبادئ التربوية الأساسية في الإسلام هي تقديم النموذج والاقتداء به، فإننا لم نُخطئ. فالقرآن الكريم يُقدّم النبي الأكرم كمُربٍّ عظيم وقدوة، ويوصي من يطمحون للرقي باتباعه. كما ورد في التعاليم الإسلامية في التربية: «كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم». (الكليني، ١٤٠٧، ج٢: ص٧٨)

وتتوقف درجة تأثير النموذج على عدة عوامل: البُعد المعرفي، البُعد العاطفي، بُعد الكفاءة، بالإضافة إلى عوامل الزمان والمكان. وكلما كانت العلاقة العاطفية أقوى بين المقتدي والمقتدى به، وكان إيمانه بكونه نموذجاً أعمق، كان تأثيره أكبر. وكذلك، كلما كانت الظروف البيئية (زماناً ومكاناً) مناسبة، كما هو الحال بين الأقران، كان تشكّل عملية الاقتداء أكثر وضوحاً وسهولة.

نموذج كامل لسموّ وتربية الإنسان

إن تأثير الإنسان الكامل في تعليم اللاهوت يتمثل في تعزيز علاقة الإنسان بالله، وتقوية الصلة بين الخالق والمخلوق. وكان الأنبياء نموذجاً عملياً وقدوة في السلوك والأخلاق، وسعوا لهداية الإنسان نحو القرب من الله، بغض النظر عن حالته الدنيوية والأخروية.

فعندما كان الناس يرون كيف يعيش النبي، رغم قلة متاعه المادي، إلا أن حياته كانت هادئة وهانئة، كانوا يتعلّمون كيف يحيون حياة طيبة. يقول تعالى: «لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» (الأحزاب: ٢١)

إذاً، يمكن تقسيم أثر الإنسان الكامل في التعليم إلى محورين: السعادة الأخروية والسعادة الدنيوية.

أولاً: تربية الإنسان من أجل السعادة الدنيوية

أ. الاستفادة من النعم في سبيل الله

لقد دعا القرآن الإنسان إلى الانتفاع من نعم الدنيا، لكنه اشترط أن يكون ذلك مقروناً بالعمل الصالح. فالاستفادة من النعم دون أداء حقها لم تكن مطلوبة في منطق الأنبياء. بل كانوا دائماً يذكّروننا بأننا إن انتفعنا من هذه النعم، فعلينا أن نؤدي شكرها أيضاً. قال الله تعالى:(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ) (المؤمنون: ٥١)أي: «يا أيها الرسل، كلوا من الطيّبات»

ثم قال: (وَاعْمَلُوا صَالِحًا)أي: «واعملوا عملاً صالحاً». فلا تأكلوا من الطيّبات التي خلقها الله لحياتكم الدنيوية، ثم لا تؤدّوا شكرها.

ب. تنظيم الغرائز والرغبات

كان الأنبياء يسعون إلى تنظيم الغرائز والرغبات الإنسانية ضمن إطار محدد، ليتمكّن الإنسان من الاستفادة المثلى منها. فالله لم يضع أي ميل أو شهوة عبثاً؛ فالرغبة في الأكل لضمان البقاء، والرغبة في الزواج لضمان استمرار النوع البشري.

وقد وُضعت هذه الميول لتُسهّل على الإنسان طريق السعادة، لكن الإشكال ينشأ حين يُساء استخدامها. فالإفراط في الأكل أو الانشغال المفرط بالشهوة يُفسد الهدف من وجودها. وفي سورة الأعراف، يُقدّم الله تعالى توجيهاً واضحاً بشأن الطعام والشراب: «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» (الأعراف: ٣١)

ج: تقديم القوانين العادلة

من ثمار البرامج التي ترتكز على تحقيق السعادة والتي جاء بها الأنبياء الإلهيون، القوانين العادلة التي نظموا بها العلاقات الإنسانية والمعاملات والتفاعلات الاجتماعية. يقول الله سبحانه وتعالى في هذا الشأن:

«لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ» (الحديد: ٢٥) أي: لقد أرسلنا رسلنا بالدلائل الواضحة من منطق ومعجزات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط والعدل.

والمقصود من "الميزان" الذي أُنزل مع الأنبياء هو القوانين العادلة. فهذه القوانين تضمن أن ينال كل فرد وكل فئة من الناس حقوقهم كاملة، وتُربي الإنسان على حياة اجتماعية سليمة. وتُسهم هذه القوانين في تحقيق أمن المجتمع الإسلامي، فلو - والعياذ بالله - سفك أحدٌ دم إنسان بغير حق، يقول القرآن الكريم: «وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ» (البقرة: ١٧٩) أي: يا أولي الألباب! في القصاص حياة لكم.

وقد أُعطي أولياء الدم حقّ القصاص من القاتل. لكن بالمقابل، حذّر القرآن من التجاوز فقال: «فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ» (اسراء: ٣٣) أي لا ينبغي أن يُبالغ أو يتجاوز في القتل، فإنْ قُتل واحد فلا يُقتل أكثر من واحد مقابله.هذه هي تعاليم الأنبياء التي تحوّل القوانين إلى عناصر تضمن عدالة الحياة الاجتماعية، ليبلغ كل إنسان حقه ويعيش في طمأنينة.

تربية الإنسان لتحقيق السعادة الأبدية

المحور الثاني في تربية الإنسان يتعلق بسعادته الأخروية. فلكي يبلغ الإنسان هدفه النهائي ويعمر آخرته، قدّم الأنبياء برامج خاصة. ويمكننا دراسة هذه البرامج التي تتعلّق بسعادة الإنسان في الآخرة في عدّة محاور:

أ: التنبيه إلى الآخرة

الانتباه إلى الآخرة عنصر أساسي في تربية الإنسان. فمجرد تذكّر الإنسان للآخرة وعدم نسيانه لها، يُعدّ من أقوى الدوافع للقيام بالأعمال الصالحة والابتعاد عن المعاصي. في سورة العصر نقرأ:

«وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» أي: أقسم بالزمن الذي يمرّ سريعًا، إنّ الإنسان في خُسر، إلا من آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ والصبر.فالإنسان في خسارة، لأنه كان يستطيع أن يستثمر كل لحظة من لحظات عمره لبناء آخرته، ولكنه لم يفعل. قد يقول قائل: أنا ربحت في الدنيا، جمعت المال، ونجحت في المعاملات... فلماذا أكون خاسرًا؟ فيُدرك أنه غفل عن التجارة الأهم، وهي تجارة الآخرة.

ويُشير الله تعالى في موضع آخر إلى أن من الأهداف الكبرى للنبوة هو تذكير الناس بالآخرة، حيث يقول: «يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ» (غافر: ١٥)أي: يُلقي الروح - أي الوحي - بأمره على من يشاء من عباده ليُنذرهم بيوم التلاقي، يوم القيامة. يوم يتلاقى فيه الظالمون والمظلومون، أصحاب الحقوق والمعتدون، ولن يُترك ظالم حتى يؤخذ منه الحق. إنّ تذكير الناس بالقيامة كان من المبادئ الأساسية المشتركة بين جميع الأنبياء.

ب: ترسيخ العلاقة بين الخالق والمخلوق

سعى الأنبياء جاهدين لجعل الناس لا ينسون الله، بل يزدادون تذكّرًا له. يقول القرآن الكريم:«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» (الأحزاب: ٤١-٤٢) أي: يا أيها الذين آمنوا، اذكروا الله كثيرًا، وسبّحوه في أول النهار وآخره.

فمن الأصول المشتركة التي تبنّاها الأنبياء في تربية الإنسان، تقوية العلاقة بين الإنسان وربّه. ويقول الله تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» (النحل: ٣٦) أي:

لقد أرسلنا في كل أمّة رسولًا يدعوهم إلى عبادة الله واجتناب الطاغوت. ومن وسائل تربية الإنسان أيضًا، الدعوة إلى تقوى الله. وقد وردت في القرآن مرارًا، مثل قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (الحشر: ١٨)أي: يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله، ولتنظر كل نفس ماذا قدّمت لغدها (أي الآخرة)، واتقوا الله، فإن الله خبير بما تعملون.

الخلاصة

في المنظور الإسلامي، يُشار إلى الإنسان المثالي بصفة "الإنسان الكامل"، ولا يمكن للإنسان أن يبلغ هذه المرتبة إلا من خلال الارتباط بالله، مبدأ الخلق. فالهدف الأسمى للإنسان هو "القرب إلى الله". الإنسان الكامل هو من ينمّي جميع القيم الإنسانية بتناغم وتوازن، فتتفعّل بذلك كل قدراته واستعداداته، ويصل إلى مقام "خليفة الله" على الأرض.

أما الانشغال المفرط بجانب واحد من جوانب الكمال على حساب الجوانب الأخرى، فيؤدي إلى الانحراف والضلال، ويمنع الإنسان من بلوغ الكمال الحقيقي. الإنسان الكامل يُقدّم الإرادة الإلهية على شهواته وغرائزه، ويُعلي من شأن ميوله الفطرية النبيلة، سواء في الإدراك أو المشاعر، فيصبح بذلك "إنسانًا فطريًا"، ويُخضع غرائزه الحيوانية تحت سيطرته، ويقودها إلى كمالها المطلوب.

في المقابل، فإنّ المدارس المادية تنكر الفطرة وتُعلي من شأن الغرائز، وتعتبرها محورًا للوجود الإنساني. فيتجه الإنسان نحو التمركز حول ذاته وينصرف عن الله. وفي الفكر المادي، لا مكان لله ولا لطاعته، بل الغاية القصوى هي تحقيق الرغبات النفسية. في هذا السياق، تُقاس القيم بمقدار ما تُشبع الأهواء، ويصبح الله مجرّد مفهوم ذهني غير فاعل في حياة الإنسان.

المراجع

قرآن کریم

شریف الرضی، محمد بن حسین، (۱۴۱۴ ق)، نهج‌البلاغه، طهران: نشر الهجرة.

کلینی، محمد بن یعقوب، (۱۴۰۷ ق)، الکافی. تهران: دارالکتب الاسلامیه.

مطهری، مرتضی (۱۳۶۲). الانسان فی القرآن. تهران: صدرا.

المطهری، مرتضی (۱۳۶۲). الانسان الکامل. تهران: صدرا.

مطهری، مرتضی (۱۳۷۲). مقدمه‌ای بر جهان‌بینی توحیدی. قم: صدرا، چاپ پنجم.

مقالات و مجلات

نیک‌صفت، ابراهیم (۱۳۸۵)، «روش، مبانی و نظریه انسان کامل در اسلام و انسان‌گرایی»، فصلنامه پژوهش و حوزه، شماره ۲۵.